جامعة ستاردوم

مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإسلامية والشرعية

— مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإسلامية و الشرعية —

تصدر بشكل ربع سنوي عن جامعة ستاردوم

العدد الاول - المجلد الثالث 2025م

رقم الإيداع الدولي : ISSN 2980-3810

بسم الله الرحمن الرحيم

فكرة إنشاء مشروع بناء هندسي

في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية

د. إيهاب رياض قرضايا

دكتوراه في نظم الأبنية الهندسية في ضوء القرآن والسُنّة النبوية

الملخص:

تناول هذا البحث مرحلة فكرة إنشاء المشاريع الهندسية من منظور إسلامي، حيث تعدّ مرحلة الفكرة الأساس الذي تنطلق منه جميع خطوات المشروع اللاحقة. يهدف البحث إلى توضيح أهمية تبني إطار شرعي يدمج بين القيم الإسلامية والمبادئ الهندسية بما يحقق النفع العام. اعتمد البحث المنهج الاستقرائي لدراسة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ذات الصلة وربطها بمفاهيم الهندسة المعاصرة، مع تحليل لفقه الأولويات ومبدأ "لا ضرر ولا ضرار" بما يتناسب مع موضوع البحث. أكدت الدراسة على ضرورة الالتزام بمقاصد الشريعة وأولوياتها في كافة مراحل التخطيط والتنفيذ، بدءاً بدراسة فكرة البناء لتحقيق توازن بين الابتكار الهندسي والمسؤولية الاجتماعية، مما يعزز من فعالية المشاريع وارتباطها بالمجتمع.

الكلمات المفتاحية (بالعربية): البناء الهندسي، القرآن الكريم، السنة النبوية، فقه الأولويات، الشريعة الإسلامية، المشاريع الهندسية، لا ضرر ولا ضرار، القيم الأخلاقية.

Abstract:

This research addresses the concept phase of engineering projects from an Islamic perspective, identifying it as the foundational step for all subsequent project stages. The study aims to emphasize the importance of adopting a Sharia-based framework that integrates Islamic values with engineering principles to achieve public benefit. Using the inductive approach, the research examines relevant Quranic verses and Prophetic traditions, correlating them with contemporary engineering concepts while analyzing priority jurisprudence and the principle of "No harm and no reciprocating harm." The study underscores the necessity of adhering to Sharia objectives and priorities throughout planning and implementation phases, starting with the project concept to balance engineering innovation with social responsibility, thereby enhancing project efficiency and societal relevance.

Keywords: Engineering construction, Quran, Sunnah, Priority jurisprudence, Islamic Sharia, Engineering projects, No harm, Ethical values.

تقديم:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحب أجمعين.

يُعد البناء شاهدًا حيًا على تطور البشرية وإبداعها عبر العصور، فهو يعكس قدرة الإنسان الفريدة، التي أنعم الله بها عليه، على التكيف مع بيئته واستثمار مواردها لتلبية احتياجاته الأساسية، وعلى رأسها تحقيق الأمن والاستقرار. ولم يكن البناء عبر التاريخ مجرد عملية مادية صرفة، بل ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالمعتقدات والقيم التي شكّلت هوية الشعوب، وجعلت من العمارة تعبيرًا نابضًا عن ثقافتها ورؤيتها للحياة.

في ديننا الحنيف، يكتسب البناء بُعدًا أعمق وأكثر شمولية. فالدين الإسلامي ليس مجرد منظومة عقائدية، بل هو منهج حياة متكامل يتناول مختلف الجوانب الحياتية، بما في ذلك الجوانب العملية والمادية. وقد جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، إلى جانب السيرة العطرة للنبي ﷺ وأصحابه من بعده، لترسخ أسس ومباديء، بل ومنهج حياة متكامل، ولذلك لا عجب أن يقوم الباحثون بدراسة تلك القوانين الربانية واستحضارها في كل منحى من مناحي الحياة، العامة كانت أو الخاصة، العلوم النظرية كانت أو التطبيقية، وعلى ذلك المبدأ اجتهدت بالبحث والدراسة في مجال خبرتي العملية وهو الهندسة والبناء.

وبالنظر إلى أن موضوع البناء، سواء من الناحية النظرية أو التطبيقية، يتسم بتفاصيل علمية دقيقة تتطلب جهود فرق متخصصة في مجالي العمارة والبناء، وكذلك في العلوم الإسلامية والدراسات الفقهية، فإن جهدي في هذا المجال يظل محدودًا في الإحاطة بجميع جوانب هذا الموضوع الشامل. ومع أنني قد أعددت بحثين أكاديميين، بفضل الله، كانا سببًا لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه، إلا أنني أعتبرهما مجرد خطوة أولى في مسار طويل.

في هذا البحث، أركز على جانب محدد يمكن أن يشكل انطلاقة لسلسلة من الدراسات العلمية التي تتناول مختلف مراحل البناء الهندسي. سأبدأ بتوضيح معنى البناء ومفاهيمه المختلفة، تمهيدًا للخوض في أولى خطوات المشروع، وهي الفكرة. سأعمل على استلهام نصوص الوحي واستخراج القواعد التي يمكن تطبيقها عمليًا في مسار البناء، سائلاً الله العون والتوفيق في ذلك.

مشكلة الدراسة:

1. غياب إطار شرعي واضح يستند إلى المنهج الإسلامي عند نشوء فكرة المشروع يؤدي إلى ضعف التوجيه الإسلامي للمشروعات الهندسية.
2. ظهور مشروعات متأثرة بالثقافة الغربية، مما يجعلها غير متوافقة مع حاجة المجتمع المسلم وثقافته وقيمه.
3. افتقار هذه المشروعات إلى التوازن المطلوب بين المعايير الهندسية والضوابط الشرعية، ما يؤدي إلى مشروعات قد تتنافى مع العرف السائد وتفقد قيمتها المجتمعية والأخلاقية.

أهمية البحث:

انطلاقًا من الأهمية البالغة لفكرة إنشاء المبنى في دورة حياة المشاريع الهندسية، فإن هذه الدراسة تسعى إلى تقديم رؤية لتأصيل "فكرة إنشاء المبنى" ضمن إطار إسلامي مستند إلى المبادئ والقيم الشرعية وضمان توافق المشروعات الهندسية مع منهجية الإسلام الشاملة، التي تجمع بين تحقيق التميز الفني والهندسي وتعزيز المسؤولية الاجتماعية وإيجاد التوازن الدقيق بين الابتكار العملي والالتزام الأخلاقي المتناغم والمنسجم مع المنهجية الإسلامية للحياة في مسار ينبني على المفاهيم الشاملة المرتبطة بالبناء، وربطها بتطبيقاتها العملية عبر تسليط الضوء على بعض المبادئ والتوجيهات التي ينبغي مراعاتها عند التفكير في إقامة مشروع بناء هندسي، ويسعى لتحقيق توافق متكامل بين حاجاتنا الثقافية والاجتماعية المبنية على القيم الإسلامية وبين الخطوات التي تؤدي لبناء هندسي منسجم مع رسالة البناء في تحقيق النفع العام للمجتمع.

أهداف البحث:

1. استعراض مفهوم البناء في الإسلام وأهميته كجزء من تطوير الحضارة الإنسانية.
2. تحليل الضوابط الشرعية لفكرة إنشاء المبنى، وربطها بالمبادئ الهندسية.
3. رسم مسار عملي يبني لأسس إسلامية ليتم تطبيق على مسار رحلة البناء، بداية بالخطوة الأولى منها وهي فكرة البناء
4. تعزيز الروابط الاجتماعية من خلال أبنية صالحة متوافقة مع شرع الله وحاجة المجتمع المسلم.

5. تعزيز التوازن بين الحياة المادية وبين الروحانيات المتمثلة بالمنهج والسبيل السوي الإسلامي الذي ينعكس على المباني المادية الجامدة.

الدراسات السابقة:

فيما يلي بعض الدراسات السابقة التي قامت بدراسة الأبنية من منظور إسلامي:

الهدي النبوي في البناء وعمارة الأرض (1)

تناولت هذه الدراسة تحليل الأحاديث النبوية المتعلقة بالبناء، حيث قسم الباحث الأحاديث إلى ثمانية محاور تتعلق بجواز توسعة المسكن، وذم التطاول في البنيان، وعدم إنفاق المال بلا حاجة، وغيرها. كما أشار إلى أن معظم الأحاديث التي اعتمد عليها كانت ضعيفة.

الأحاديث النبوية الواردة في البناء والعمارة: جمع وتخريج وتحليل (2)

قام الباحث بجمع الأحاديث المتعلقة بالبناء، وتمييز الصحيح من الضعيف، وبيان سُنة النبي ﷺ في هذا المجال. وقد أشار إلى أن الأصل في البناء هو الإباحة، وقدم تحليلاً للأحاديث الواردة في مشروعية البناء وذم بعض أنواعه.

1) سوروني، محمد حافظ. 1436هـ / 2014م. الهدي النبوي في البناء وعمارة الأرض. مجلة الحديث. سلانجور – ماليزيا: الكلية الجامعية الإسلامية العالمية. العدد (8): صفر/ ديسمبر. ص 89 –115.

2) الأنيس، عبد السميع محمد. 1434هـ/ 2013م. جوانب حضارية في السنة النبوية المطهرة. دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. البحث الثاني. ص 95–156.

المسؤولية الشرعية والقانونية عن الأعمال الهندسية المدنية. (3)

تناولت رسالة الماجستير هذه المسؤولية المترتبة عن الأعمال الهندسية في إطار الفقه الإسلامي والقوانين المعمول بها، وقد ركزت على المسؤوليات الشرعية والقانونية في مراحل البناء المختلفة، ودراسة الشروط في العقود وموضوع الحسبة على البناء وضمان سلامة العاملين، وأنواع الضمان وغيره من الأمور

نظم الأبنية الهندسية دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم والسُنّة النبوية(4)

تناولت أطروحة الدكتوراه هذه البناء بنظمه ومراحله المختلفة بطريقة عملية تفيد المهندس وصاحب المشروع من دراسة الفكرة وجوانبها المتعلقة بها ثم التصميم والعقود والتنفيذ والإشغال والتركيز على الجانب التأصيلي من خلال نصوص القرآن الكريم والسُنّة النبوية

علوم الهندسة المعمارية في القرآن والسنة(5)

يبين الباحث ارتباط الهندسة المعمارية بالفن وعلوم الهندسة الأخرى، ويستعرض تطور العمارة الإسلامية وتأثير العقيدة الإسلامية عليها. كما يتناول الخصائص المعمارية التي تعكس القيم الإسلامية.

العمارة الإسلامية (أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية) (6)

يدرس الباحث العمارة الإسلامية من منظور تاريخي وثقافي، موضحًا تأثير الدين على العمارة. كما يتناول الخصائص المعمارية التي تعكس القيم الإسلامية.

تناولت الدراسات السابقة جوانب مختلفة من رحلة البناء، ومنها ما قام بدراسة الأحاديث النبوية المتعلقة في البناء ومعرفة درجة صحتها أو من قام بدراسة البناء كوحدة واحدة والنظر إليها من خلال الأحاديث النبوية أو من نظر إلى المفهوم الإسلامي للعمارة، ومنها من حاول دراسة خطوات البناء من منظور الشريعة الإسلامية

3) قرضايا، إيهاب رياض. 2013م. المسؤولية الشرعية والقانونية عن الأعمال الهندسية المدنية (رسالة ماجستير). مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث. دبي: الإمارات العربية المتحدة

4) قرضايا، إيهاب رياض.2019م. دراسة تأصيلية في القرآن الكريم والسنة النبوية (أطروحة دكتوراه). مؤسسة الأمة للنشر والتوزيع. القاهرة: جمهورية مصر العربية

5) العبيدي، خالد فائق. 1430هـ / 2010م. علوم الهندسة المعمارية في القرآن والسنة. جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم. دبي: الإمارات العربية المتحدة

6) طرشاوي، بلحاج. 1429هـ / 2007م. العمارة الإسلامية (أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية). (أطروحة دكتوراة في الفنون)

والقانون ومنها من تتبع الأعمال برؤية إسلامية، والأخير هو ما أرمي إليه في هذا البحث من خلال دراسة أولى الخطوات التي ينبني عليها مشروع البناء الهندسي.

منهجية البحث:

تقوم هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال عرض النصوص واستنباط ما يمكن من مفاهيم ذات علاقة بالبناء الهندسي.

خطة البحث:

ولقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون على النحو الآتي:

المبحث الأول: البناء الهندسي في القرآن والسُنة

وأتناول فيه:

تمهيد: البناء لغة ومفهوماً

المطلب الأول: البناء في القرآن الكريم

المطلب الثاني: البناء في الأحاديث النبوية

المبحث الثاني: فكرة البناء الهندسي

وأتناول فيه:

تمهيد: وفيه توطئة لأهمية دراسة فكرة إنشاء المشروع قبل البدء فيه

المطلب الأول: ضوابط شرعية وأسس أخلاقية في مشاريع البناء الهندسي

أولاً: بناء يحقق الصلاح والنفع للمجتمع

ثانيا: نية خالصة وامتثال للأحكام الشرعية.

المطلب الثاني: فقه الأولويات ونفي الضرر في دراسة جدوى المشاريع الهندسية

أولاً: دراسة جدوى المشروع وأولوياته

ثانياً: نفي الضرر أو الإضرار

المبحث الأول: البناء الهندسي في القرآن والسُنة

تمهيد: البناء الهندسي لغة ومفهوماً:

المقصود بالبناء الهندسي هو الأبنية المادية المعروفة؛ وأضيف للبناء كلمة "الهندسي" لتمييزه عن أنواع البناء الأخرى، والبناء في اللغة يشير إلى إقامة شيء ثابت ودائم وهو مشتق من المصدر ب ن ي: (بَنَى) بَيْتاً، وَ (ابْتَنَى) أي دَاراً(7) والبَنْيُ: نقيضُ الهَدْمِ، بَناهُ يَبْنِيهِ بَنْياً وبِناءً وبُنْياناً وبِنْيَةً وبِنايَةً، وابْتَناهُ وبَنَّاهُ. والبِناءُ: المَبْنِيُّ وجمعه: أَبْنِيَةٌ وجمع الجمع: أَبْنِياتٌ. والبُنْيَةُ، بالضم والكسر: ما بَنَيْتَه وجمعه: البِنَى والبُنَى. وتكونُ البنايةُ في الشَّرَفِ. وأَبْنَيْتُه: أَعْطَيْتُه بِناءً، أو ما يَبْنِي به داراً. (8) ومَن حِرفَتُه البناء: بنّاء ... (9) يقول تعالى: ﴿**وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ**﴾(10) وَبَنَى عَلَى أَهْلِهِ يَبْنِي زَفَّهَا (بِنَاءً) فِيهِمَا، ... فَقِيلَ لِكُلِّ دَاخِلٍ بِأَهْلِهِ (بَانٍ) عن أنس، رضي الله عنه، قال: أَوْلَمَ رسولُ الله ﷺ حين بَنَى بزينب بنت جحش فأشبع الناس خبزاً ولحماً..."(11) وقال أيضاً: " بَنَى النبي ﷺ بامرأة فأرسلني فدعوت رجالاً إلى الطعام".(12)

فالمعني من ناحية البناء المادي، هو عملية تتطلب ترابط كافة عناصره وانسجامها، بما يحقق القوة والثبات والتماسك للمبنى أو المنشأة الهندسية، مما يضمن استمراريتها وديمومتها. وهو ذات المعنى في العلاقة الزوجية السليمة التي تُبنى على أسس من المودة والرحمة، وتعتمد على تلاحم عناصرها المختلفة لتحقيق الاستقرار والاستمرارية.

وبذلك، فإن البناء، سواء في جانبه المادي أو المعنوي، يُجسد المعنى الأصيل للترابط والانسجام. وعندما يُقام على أسس سليمة، فإنه يضمن الاستمرار لأطول فترة ممكنة، معبرًا عن جوهر التماسك في كل جوانب الحياة.

---

7) الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح ص. 40، وابن منظور. *لسان العرب*. ج.14. ص. 97.

8) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ). 1426 هـ / 2005م. *القاموس المحيط*. تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. ص. 1264.

9) عمر، أحمد مختار عبد الحميد وآخرون. معجم اللغة العربية المعاصرة. ج.1. ص. 252.

10) القرآن. ص 38: 37

11) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *صحيح البخاري*. كتاب تفسير القرآن/ سورة الأحزاب. باب قوله تعالى: "لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ... ". رقم الحديث 4794. ص. 1210.

12) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *صحيح البخاري*. كتاب النكاح. باب الوليمة ولو بشاة. رقم الحديث 5170. ص. 1328.

المطلب الأول: البناء في القرآن الكريم:

ولقد جاء في كتاب الله الكثير من الآيات القرآنية لمفهوم البناء الذي يعبر عن القوة، والمتانة، والدقة، والتماسك، والإتقان. كما في قوله تعالى في خلقه للسموات، حيث قال سبحانه: ﴿**وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً**﴾(13) وقال جلّ في عُلاه: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾(14) وكذلك قوله سبحانه: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾(15) فالناظر لهذه الآيات الكريمة يرى أن لفظة البناء تعكس معنى الإحكام والدقة والتماسك، إذ كان ذلك البنيان نابع من قدرة الله تعالى وعظمته، وجليل صنعه، ولذلك دعانا سبحانه للتفكر في هذا الخلق المبني بإحكام فقال سبحانه: ﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا**﴾(16) فخلق السماوات يوحي بالقوة والتماسك، حيث وصف الله ارتفاعها وسماكتها بأنها رفيعة وثخينة(17)، مما يعكس إتقان البناء، وهي متماسكة، لا تختل ولا تخرج نجومها وكواكبها عن مداراتها، بل تبقى ثابتة ومتقنة، فالباني هو الله عز وجل:﴿**وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا**﴾(18) [أي] والسماء ومَنْ بناها، يعني: ومَنْ خَلَقها؛ وبناؤه إياها: تصييره إياها للأرض سقفاً"(19). "أي والسماء ومن قدّرها على النحو الذي اقتضته مشيئته وحكمته. وفي ذكر البنيان إشارة إلى ما انطوى عليه رفعها وتسويتها من بارع الحكمة وتمام القدرة، وأن لها صانعاً حكيماً قد أحكم وضعها وأجاد تقديرها، فإنه شدّ هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها حتى يتماسك.(20). ولنتأمل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**﴾(21)

---

13) القرآن. النبأ 78: 12

14) القرآن. البقرة 2: 22

15) القرآن. غافر 40: 64

16) القرآن. النازعات 79: 28

17) الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت 1436 هـ). 1418هـ / 1997م. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر ج. 30. ص. 44. بتصرف

18) القرآن. الشمس 91: 5

19) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت 310 هـ). 1420 هـ / 2000 م. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق أحمد محمد شاكر. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. ج.24. ص. 453.

20) المراغي، أحمد بن مصطفى. (ت 1371 هـ). 1365هـ/1946م .**تفسير المراغي** .ط1. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ج. 30. ص. 167.

21) القرآن. ق 50: 6

والنظر والتفكر في قوله سبحانه ﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾(22) وكذلك قوله تعالى: ﴿**خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَآ**﴾(23) يتجلى هنا الإعجاز في فهم كيفية بناء السماوات بلا عمد يراها الإنسان، على عكس ما نعرف ونرى من أن البناء لابد أن يتكون من قواعد وأعمدة وأسقف (وهي السماء)، ولكن الله سبحانه تعالى قال: ﴿**بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَآ**﴾ فهل النفي هنا لعدم وجود أعمدة، أم أنه لعدم قدرتنا على رؤيتها – الله أعلم بمراده – ولكن فهمي يقودني لإدراك وجود أعمدة تربط السماء (وهي بمثابة السقف للبناء) بمركز ما كأنه يشبه القاعدة للبناءالهندسي، قد تكون هذه الأعمدة التي لا نراها هي الجاذبية مثلاً، أو أمر آخر لا نراه ولا نعلمه مما خلق الله سبحانه وتعالى.

والآيات القرآنية لا تقتصر على ذكر ذاك البناء المحكم فحسب، بل وتدعو الناس لأن تكون لُحمتهم متينة كقوته وإحكامه، يقول الله سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**﴾(24) أي بنيان متلاصق محكم لا فُرجة فيه.(25) فالذين يقاتلون، "يقاتلون في سبيل الله صفًّا مصطفًّا، كأنهم في اصطفافهم هنالك حيطان مبنية قد رصّ، فأحكم وأتقن، فلا يغادر منه شيئاً، وكأن بعضهم يقول: بُني بالرصاص."(26) فالترابط والقوة والإحكام في التراص، وهذه إشارة هندسية جلية، توضح للمهندس المعني كيف يجعل لبنات البناء قوية بالتأكد من تراصها بالشكل الهندسي المتماسك وبالمواد الهندسية ذات العلاقة والتي تزيد من تلك المتانة، مع التأكيد أنّ البناء لابد من أن يكون على أسس متينة، أنظر لقول الله سبحانه: ﴿**أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ**﴾(27) فالبناء لا يقوم دون أسس متقنة على أرض ثابتة، فلو لم تكن على تقوى من الله، والتي أفهمها في مجال الهندسة أنها العمل الصالح المتقن (جودة التنفيذ) المبني على الأسس العلمية الدقيقة (صحة التصميم) المشفوعة بالخشية من الله تعالى (الأمانة في أداء العمل)، هذه الأسس ستكون صالحة أن تقوم عليها أعمدة يليها أسقف وجدران وأحمال من البشر والأثاث تشكل ثقلاً مباشراً أو متحركاً فإن كانت على "تقوى" حملت البناء واستدامت، وإن كانت على غير ذلك أو أرضها رخوة فهي ولا شك عُرضة لأن تنهار وتؤدي للهلاك المبين، والمهندس يجد في هذا المعنى

---

22) القرآن. الرعد 13: 2

23) القرآن. لقمان 31: 10

24) القرآن. الصف 61: 4

25) مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. (1393هـ / 1414هـ – 1973م / 1993م). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. ط. 1. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية. ج. 10. ص. 1394.

26) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. جامع البيان في تأويل القرآن. ج.23. ص. 357.

27) القرآن. التوبة 9: 109

عبرة ومعنى واضح جلي، وقاعدة علمية يضعها نُصب عينيه في عمله الهندسي، فهو يعمل على تلافي كل الأسباب التي تدعو إلى تحريك القواعد من مكانها التي تم تصميم البناء عليها، حتى يتجنب لأن تحركها لأي سبب يؤدي لانهيار ما علا تلك القواعد بجلبة وسرعة وقوة، قال سبحانه: ﴿**قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ**﴾(28) فالجلبة والقوة التي تظهر في معنى ﴿**فَخَرَّ**﴾ توحي كيف تكون قوة الإنهيار هذه وما ينتج عنها من أضرار عظيمة على الحجر والبشر بمجرد أن تتحرك تلك القواعد ولا يستقر حالها، وهنا تأتي أهمية دراسة وفحص أنواع التربة، والمياه الجوفية، والعوامل الأخرى كدراسة الزلازل وتصميم البناء لئلا ينهار البناء عند حدوثها، ففهم طبيعة البناء وظروفه المحيطة به، تجعل المهندس حريصاً على التأكد من متانة وارتباط البناء وتماسكه مع قواعده التي تحمل كل ما علاها من بناء.

وذكر البناء لم يقتصر على البناء في الحياة الدنيا، بل ذكر الله تعالى صوراً مما أعده للمتقين في الدار الآخرة، كمثل قوله سبحانه: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾(29) "أي لكن أولئك الذين اتقوا عذاب ربهم بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لهم في الجنة غرف مبنية محكمة البناء، وهي: القصور الشاهقة ذات الطبقات المزخرفات العالية."(30) فلقد كان البناء المحكم المتين صورة وشكل من أشكال النعيم الأخروي على صورة بهية لا يُضاهيها بناء الدنيا ولا يشابهه.

ولا يقتصر البناء في القرآن الكريم على ما قدمت، ولكن الآيات في ذلك كثيرة، ومنها آيات لا تذكر البناء كبناء بل تفصل بعض ما فيه كمثل قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ * وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(31) ولكني في هذه الدراسة لن أقوم بحصرها وبيانها حتى لا أخرج عن موضوع فكرة البناء وأنزلق لتفاصيل أخرى يصلح دراستها وبحثها في دراسات أخرى إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: البناء في الأحاديث النبوية:

يخطر على بال القاريء حينما يسمع أو يقرأ حديث رسول الله ﷺ في علامة من العلامات الدالة على قرب الساعة، والتي نراها جلية في زمننا الحالي، وهي المبالغة في البنيان والتطاول فيه؛ في الحديث الذي رواه أبو

28) القرآن. النحل 16: 26

29) القرآن. الزمر 39: 20

30) الزحيلي، وهبة بن مصطفى. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ج. 23. ص. 269.

31) القرآن. الزخرف 43: 33 – 35

هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "من أشراط الساعة إذا تطاول رعاء البهم في البنيان"(32)، والحديث: "لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان"(33) كذا "عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس، فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ ... [حتى سأله]: متى الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا النبي ﷺ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾(34) ثم أدبر فقال: "ردوه" فلم يروا شيئاً، فقال: "هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم"(35) إضافة لرواية عند مسلم في صحيحه: "... ثم قال [ابن عمر]: حدثني أبي، عمر بن الخطاب، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، ... [إلى أن قال] فأخبرني عن الساعة، قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"، قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال لي: "يا عمر أتدري من السائل؟" قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"(36).

كما قلت، قد يخطر على بال القاريء أن هذه الأحاديث الأربعة تدل على حرمة أو كراهية التعالي في البنيان، والحقيقة أنها تذكر علامة على قرب الساعة كما أشرت، "فليس كل ما أخبر ﷺ بكونه من علامات الساعة يكون محرماً أو مذموماً فإنّ تطاول الرعاء في البنيان، وفشو المال، وكون خمسين امرأة لهن قيم واحد؛ ليس

32) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *صحيح البخاري*.. باب ما جاء في البناء. ص. 1592.

33) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *الأدب المفرد*. باب التطاول في البنيان. رقم الحديث 449. ص. 324. صححه الألباني في *صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري*. ج.1. ص.173.

34) القرآن. لقمان 31: 34

35) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *صحيح البخاري*. كتاب الإيمان . باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة. رقم الحديث 50. ص. 32.

36) مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج النيسابوري (ت 261هـ). *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر. رقم الحديث 8. ص. 15.

بحرام بلا شك"(37) وحتى لا أطيل في الموضوع بسرد آراء العلماء، وهي كثيرة، فإني أستند إلى ما جمعه وفنّده الدكتور عبد السميع الأنيس(38) على نحو ما يأتي:

1. " التطاول في البنيان لغة هي صفة مذمومة في الباني لكونه متفاخراً، متكبراً، وليس في البناء.
2. إنّ مشروعية البناء بضوابطه متفق عليه عند المسلمين ... مما يدل على أن صفة التطاول في الباني هي المستهدفة بالتحذير وليس البناء.
3. إنّ هذا الحديث قد جاء بصيغة الإخبار عن أمر هو أمارة من أمارات الساعة، وليس بحكم.
4. ذهب عدد من شُراح الحديث إلى أنّ الحديث فيه إشارة إلى اتساع دين الإسلام، وتسلط المسلمين على البلاد والعباد.
5. الذم الوارد في التطاول ... متوجه إلى النيّات، فمن كانت نيته التفاخر والتباهي فهو مذموم.
6. أما من كانت نيته سليمة، وقصده طيباً، وعمله مرضياً، مع موافقته للضوابط الشرعية، ومراعاته الأعراف الإسلامية في العمارة فليس في عمله شيء لاسيما إذا كان هذا البناء مما تدعو حاجة الناس إليه.
7. وعليه فإنّ هذا الحديث إخبار ينطوي على تحذير من عواقب التعالي ... من أبعاد ثقافية ونفسية واجتماعية واقتصادية، أو بكلمة أدق حضارية"

ومن الأحاديث النبوية التي جاءت في البنيان وتبين الطبيعة المطلوبة للبنيان؛ ما أراده رسول الله ﷺ حينما وصف بنية المجتمع المسلم المتعاضد، وصفه بالبنيان؛ وفي ذلك إشارة غير خافية، إذ لم يصف رسول الله ﷺ المطلوب من المؤمنين بشيء آخر ذو قوة، يعبر عن المتانة؛ وإنما شبهه بالبنيان كما في الحديث عن أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً" ثم شبك بين أصابعه.... "(39)، شبهه بالبنيان بالقول؛ ثم مثل كيفية الترابط بتشبيك أصابعه ﷺ، ليبين قولاً وعملاً كيف يكون الترابط بين المؤمنين، وتشبيكه ﷺ بين أصابعه يدل على الكيفية التي يجب أن يكون عليها البنيان، من الترابط، والقوة، والإحكام؛ فلا يكون فيه فُرجة تسبب ضعفاً، كمثل ما يحدث أحياناً من أخطاء عند عملية صب الخرسانة في الأعمدة أو الأسقف، عند وجود فجوات تتسبب بضعف ذلك العنصر الإنشائي؛ مما يتطلب

37) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت 676هـ). 1392هـ. *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*. ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج.1. ص. 159.

38) انظر في ذلك: الأنيس. عبد السميع محمد. *جوانب حضارية في السنة النبوية المطهرة*. ص. 141 – 150.

39) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *صحيح البخاري*. كتاب الأدب . باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً. رقم الحديث 6026 ص. 1528 . وكذلك كتاب الصلاة . باب تشبيك الأصابع في المسجد. رقم الحديث 481. ص. 128.

إصلاحه أو هدمه. فالترابط الذي يظهر في تركيب البناء وتعاضده يريدها ﷺ بين المؤمنين أن تكون قوية؛ "لأنَّ الشيطانَ يدخل في كل فرجةٍ يجدُها بين رجلين، حتى يفعل ذلك في صفِّ الصلاةِ أيضاً، فإذا صاروا كالبُنيان، وترصُّوا في الصفوف، لم يَبْقَ له مَوْضِعُ دخولٍ.(40) "وظاهر الحديث الإخبار ومعناه الأمر وفيه التحريض على التعاون".(41) و"وجه الدلالة فيه: أن النبي ﷺ أشاد بالبنيان القوي المحكم، وجعله مثالاً سامياً لوحدة المؤمنين وتعاونهم فيما بينهم، مما يدل بالإشارة على مشروعية البنيان القوي.(42) والمعاني والدلالات الأخرى التي ذكرتها.

وبنفس القياس المرجو لترابط أفراد الأمة الموحدة، عبّر رسول ﷺ عن طبيعة الرسالات السماوية بأنّ مثلها كمثل بناء أو بيت حاضن يجمع كل أفراده في داخله، وأنها كلها مرتبطة برب واحد، لا شريك له، وأنّ جميعها لله الواحد القهار. وفي تمثيله ﷺ الرسالات بالبيت دلالة على أهمية البناء أيضاً. روى أبو هريرة، رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ، قال: "إنّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لَبِنَة (43) من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللَّبِنَةُ وأنا خاتم النبيين"(44). وانظر إلي جميل وصفه ﷺ ذاك البنيان، ففيه الحُسن والجمال والتكامل، والحديث "فيه: ضرب الأمثال للتقريب للأفهام، وفضل النبي ﷺ على سائر الأنبياء، وأن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين.(45) هذا من الجانب العقدي، لكن في ذلك إشارة أيضاً إلى الكيفية التي يكون عليها البنيان من تكامل لبناته وتعاضدها لتأسيس بناء واحد متين؛ إضافة إلى تلك الإشارة في الحديث المعبرة عن جمال الإسلام

---

40) الديوبندي، محمد أنور شاه بن معظم شاه (ت 1353 ه). 1426 ه / 2005م. *فيض الباري على صحيح البخاري*. تحقيق محمد بدر عالم الميرتهي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. ج. 3. ص. 604.

41) ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد (ت 804ه). 1429ه / 2008م *التوضيح لشرح الجامع الصحيح*. تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث.ط1. دمشق: دار النوادر. ج. 6. ص. 18.

42) الأنيس، عبد السميع محمد. *جوانب حضارية في السنة النبوية المطهرة*. ص. 114.

43) لَبِنة [مفرد]: جمعها لَبِنات ولَبِن؛ ومؤنَّث لَبِن. وهي: قالبٌ مربَّع أو مستطيل مضروب من الطّين يُستعمل في البناء. (عمر، أحمد مختار عبد الحميد. معجم اللغة العربية المعاصرة. ج. 3. ص. 1992.)

44) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256ه). *صحيح البخاري*.كتاب المناقب. باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . رقم الحديث 3535. ص. 868.

45) العيني، محمود بن أحمد بن موسى. *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. ج. 16. ص. 98.

وكماله، فالاتقان والإحكام فيه كمثل البناء المترابط القوي، وذلك يعطى صورة جمالية مبدعة مصداقاً لقوله ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال"(46)

بعد هذه العجالة في ذكر معنى البناء في اللغة، كذا بعض الآيات القرآنية، وبعض الأحاديث النبوية، وذكر بعض الفوائد الهندسية المتعلقة بتلك المعاني، وربطها عملياً في البناء الهندسي، ننتقل سوياً وعملياً في دراسة مراحل البناء وما يسمى دورة حياة المبنى، من منظور القرآن الكريم والسنة النبوية مما سيضفي عليها قيمة وأهمية، وإذ إن الموضوع فيه تفاصيل كثيرة، فلا يمكن لورقة بحث الإلمام بها جميعا؛ لكننا في البداية لابد أن ندرك أنّ من سنن الله سبحانه وتعالى التدرج، وأن البناء سواء كان معنوي، كبناء المجتمعات أو العلاقات أو غيره، أو بناء مادي، كإنشاء المباني والجسور والمنشآت الهندسية الأخرى على اختلاف مشاربها وأهدافها، تحتاج لهذه السُنة، وهي تمر بمراحل تشكل دورة حياة البناء، فكل بناء يبدأ بالفكرة ثم التخطيط، ثم التصميم المناسب مروراً بالتنفيذ الآمن، وصولاً إلى التشغيل والصيانة، وانتهاءً بالهدم أو الإزالة عند انتهاء العمر الافتراضي وتشكيل المبنى خطراً على الناس، وفي بحثي هذا سأستعرض الخطوة الأولى من تلك الرحلة وهي فكرة إنشاء بناء هندسي.

46) جزء من حديث نبوي أخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الإيمان. باب تحريم الكبر وبيانه. رقم الحديث 147. ص. 33. ونصه: عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر" قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: "إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس" ويشرح المحقق محمد فؤاد عبد الباقي في نسخة أخرى لدار إحياء التراث العربي في بيروت. ج.1. ص. 93. أنّ "بطر الحق": هو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً و"غمط الناس" معناه: احتقارهم.

المبحث الثاني: فكرة البناء الهندسي

تمهيد:

تعتبر فكرة إنشاء مشروع البناء الهندسي أولى الخُطى فيه وأهمها، وهي تختلف باختلاف الغاية المنشودة من البناء؛ فقد يكون البناء لأجل تحقيق منفعة على مستوى الفرد في المجتمع كنحو بناء المسكن، أو ورشة عمل أو مكتب أو نحو ذلك؛ وقد يكون البناء لأجل تحقيق مصلحة عامة للمجتمع، كبناء المدارس والجامعات والمستشفيات ودور الرعاية الطبية، وغيره؛ ولذلك ينبغي أن تكون الفكرة نابعة من حاجة ما، تحقق غاية ما، تكون صالحة نافعة، مبنية على عدم مخالفة الشرع، ولا تشكل ضرراً للآخرين، وبهذه الأمور البسيطة كأننا نضع أسساً أو شروطاً ومباديء تتبني عليه فكرة البناء.

المطلب الأول: ضوابط شرعية وأسس أخلاقية في مشاريع البناء الهندسي

أولاً: نية خالصة وامتثال للأحكام الشرعية:

والفكرة ينبغي أن تكون مبنية على صدق النية، كما قال رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"(47) وكذلك التورع عن الشبهات، مصداقاً لأمر النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الحسن بن علي، رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، وإن الكذب ريبة"(48) ثم ننتقل بالفكرة لمرحلة أخرى فنعرضها على الفقه الشرعي الحنيف، من حيث الأحكام الفقهية الخمسة، وهي: الوجوب، والحُرمة، والندب، والكراهة، والإباحة.(49) وإعمالها على فكرة البناء بداية، فكل مشروع قد يكون وسيلة لتحقيق أمر واجب، أو على نقيضه من الحرمة، أو هو مندوب فعله، أو وسيلة تؤدي لأمر مكروه شرعاً، أو لاشيء مما سبق، فالأمر مباح ووسيلته مباحة، ولذلك عند دراسة فكرة أو غاية أي مشروع بناء؛ نقيمها ضمن هذه المعايير الخمسة بداية؛ لأن الوسيلة إلى الغايةِ تأخذُ حكمها؛ فوسائل الواجبات واجبةٌ، ووسائل المحرَّمات محرَّمة، ووسائلُ المستحبَّات مستحبة، ووسائلُ المكروهات مكروهة، ووسائلُ المباحات مباحة. فالله

47) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *صحيح البخاري*.كتاب بدء الوحي. باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ. الحديث 1. ص. 17.

48) الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ). *سنن الترمذي*. كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب 60. رقم الحديث 2526. ص 725. قال الشيخ الألباني: صحيح (صحيح الجامع الصغير وزياداته. ص 637.)

49) انظر: شلبي، محمد مصطفى. *أصول الفقه الإسلامي*. ص. 25 – 26.

تعالى إذا أمر بأمرٍ، فإنه قد أمر بما لا يتم إلاَّ به، وإذا نهى عن فعلٍ، فقد نهى عن الوسائل الداعية إليه.(50) مثال على ذلك، قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾(51) فيعني ذلك عدم جواز بناء أماكن الترفيه الحرام، التي تنشر الزنى والفحشاء. وقوله جلّ في عُلاه: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(52) يعني تجنب بناء ما أدى إليها من تصنيع، أو تجهيز، أو تحضير، أو بيع أو حتى السماح والترخيص لها. والأمثلة في ذلك كثيرة، في كل جانب من تلك الأحكام الخمسة، يصعب علينا حصرها في ورقة بحث واحدة، ولكن القاعدة في ذلك أن ننظر لفكرة المشروع بداية، فما حرمه الله تعالى فلا يجوز العمل ببناء يؤدي إليه، وما كان فيه نفع المسلمين أو الإنسان بصفة عامة، فهو إما واجب العمل به، أو يُندب إليه، أو يُباح.

ثانياً: بناء يحقق الصلاح والنفع للمجتمع:

بداية، لابُدّ أن يكون البناء المُراد إنشاؤه ملبياً للحاجة الحقيقية للمجتمع والفرد، ولا يخالف ما وجه إليه الشرع الحنيف في أمور الحلال والحرام، كذا صالح الأخلاق، لأن ذلك غاية سامية في الشريعة الإسلامية، قال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"(53)، ويعين على تحقيق ذلك: منع الضرر،كما أمرنا المصطفى ﷺ في قوله: "لا ضرر ولا ضرار"(54). ففي هذين الحديثين أساس رائع للتفكير وبناء الفكرة، أساس يقوم على الخير وعلى نفي الضرر، وفي قول الله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾(55) المعنى الأجمل في ترابط المجتمع بأفكاره وأفعاله، فتكون فكرة البناء مبنية على تلك الأسس من الخير والتعاون ونفي الضرر، أنظر كيف أمر الله سبحانه وتعالى آل داوود عليه السلام حينما كان يبنون المباني العظيمة في قوله:

---

50) انظر: البسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح (ت 1423هـ). 1423 هـ / 2003 م. *توضيح الأحكام من بلوغ المرام*. ط5. مكّة المكرّمة: مكتَبة الأسدي. ج. 1. ص. 65 بتصرف قليل.

51) القرآن. الإسراء 17: 32

52) القرآن. المائدة 5: 90

53) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *الأدب المفرد*. باب حُسن الخلق. رقم الحديث 273. ص 218. قال الشيخ الألباني: صحيح. (*صحيح الأدب المفرد*. ج. 1. ص 118)

54) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ). *سنن ابن ماجه*. كتاب الأحكام. باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. رقم الحديث. 2341. ج1. ص 737. صححه الحاكم النيسابوري بسند آخر. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: الحديث صحيح لغيره. وأنّ للحديث شواهد كثيرة يصح بها كما صححه الألباني.

55) القرآن. المائدة 5: 2

﴿**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾(56) أمرهم سبحانه أن يعملوا: "بطاعة الله شكراً له على نعمه التي أنعمها عليهم في الدين والدنيا"(57) فالأصل هو صلاح الفكرة والعمل شُكراً لله سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: فقه الأولويات ونفي الضرر في دراسة جدوى المشاريع الهندسية

أولاً: دراسة جدوى المشروع وأولوياته:

عند معرفة صلاح الفكرة، وإصلاح النية والتورع عن الشبهة، والغاية التي نريدها من ذلك البناء، ثم عرضه على أحكام الفقه الخمسة، نتقدم بها في خطوة أخرى برؤيتها من جانب الأولويات للتمهيد لمعرفة الجدوى من تنفيذها، وأثرها على المجتمع؛ ففي دراستنا لسيرة النبي المصطفى ﷺ، ودراسة نهج الصحابة، رضي الله عنهم، ندرك أنّ فهمهم لإنشاء مبانيهم مبنياً على واقع فهمهم للحياة الدنيا، فما كانوا يبنون إلا ما كان نافعاً لهم وعلى قدر حاجتهم؛ وهذا لنا سنن وطريق لأن نبني فكرة العمل بإنشاء مبني ما على هذا الأساس، وندرس ونفهم الأولويات بناء على مقاصدَ التشريع التي قسمها علماء الفقه إلى ثلاثة أقسام، وهي:

أ- الضروريات: والضروريات هي الأمور التي لا بد منها لقيام الحياة للعباد بحيث لو اختلت كلها أو بعضها لاختل نظام حياتهم وعمتها الفوضى ... وهي: الحفاظ على الدين والنفس والعقل والنسل والمال. فإذا كانت فكرة البناء أو أي جزء منه تعمل على معالجة المقصد السابق، في الحفاظ علي أي من الأمور الخمسة أو الستة الضرورية فلا بد من جعلها على قمة سلم الأولويات. وفي الحديث الذي رواه ابن عمر، رضي الله عنهما، إذ قال: "رأيتني مع النبي ﷺ بنيت بيدي بيتاً يكنني من المطر، ويظلني من الشمس، ما أعانني عليه أحد من خلق الله"(58) نرى مراده في إقامة بنيانه، إذ كان هدفه هو حفظ نفسه وعرضه، وأهله وماله.

ب- الحاجيات: أما الحاجيات فهي الأمور التي تسهل للناس حياتهم وترفع الحرج والمشقة عنهم، فإذا اختلت كلها أو بعضها وقعوا في الحرج ولحقتهم المشقة دون أن يختل نظام حياتهم ... وهي في جملتها ترجع إلى تيسير التعامل بين الناس ... وإباحة ما لا غنى للإنسان عنه. وتدخل في حديث المصطفى ﷺ إذ قال: "يسروا

---

56) القرآن. سبأ 34: 13

57) المراغي، أحمد بن مصطفى. *تفسير المراغي*. ج. 22. ص. 67. بتصرف بسيط

58) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *صحيح البخاري*. كتاب الاستئذان. باب ما جاء في البناء. رقم الحديث 6302 ص. 1592. وقد سبق ذكره.

ولا تعسروا، وبشروا، ولا تنفروا"(59)، وسنته في ذلك أنه: "ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، ..." (60) فكل بناء أو جزء منه ييسر على الناس حياتهم ويسهلها مطلوب الأخذ به، وهو من المصالح المطلوب تحقيقها.

ج- التحسينات: والتحسينات هي المرتبة الثالثة في الأولويات، فهي الأمور التي تجمل بها الحياة وإذا فقدت لا يختل من أجلها نظام الحياة – كما في الضروريات – ولا يلحقهم حرج ولا مشقة في عيشهم – كما في الحاجيات– بل تصير حياتهم غير طيبة تنكرها الفطر السليمة وتسقط في تقدير العقول السليمة. ولعل من ذلك ما جاء في قوله ﷺ: "ثلاث من السعادة، وثلاث من الشقاوة، فمن السعادة: ...، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق"(61)

وإذا كان الشارع قد سار في تشريعه على قاعدة الترتيب بين المقاصد الثلاثة ... فيقدم ما يوصل إلى المحافظة على أمر ضروري على ما يوصل إلى أمر حاجي، وما يُوصل إلى أمر حاجي على ما يوصل إلى أمر تحسيني.(62) فالعمل بذلك في البناء؛ يكون عند كل فكرة بترتيب الأولويات فيها، سواء كانت في التخطيط للمشاريع في المجتمع، أو على مستوى الفرد نفسه، أو في تطبيقها في بناء معيّن في السعي لتطبيق المراحل المختلفة منه وفق هذه الأولويات، أو في مراحل التنفيذ نفسه في مراعاة سلامة الناس والعاملين، إذا فهم هذه المراحل وإدراك الأولوية في كل مرحلة منها، عامل مهم جداً يساعد في تنظيم العمل وتحقيق المنفعة دون التعارض، وحسب الإمكانيات المتاحة، وهو جزء مهم في دراسة جدوى المشروع بداية.

---

59) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *صحيح البخاري*.كتاب العلم. باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا. رقم الحديث 69. ص 38. وقد سبق ذكره.

60) البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256هـ). *صحيح البخاري*. كتاب المناقب . باب صفة النبي ﷺ. رقم الحديث 3560. ص. 872. وقد سبق ذكره.

61) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. *المستدرك على الصحيحين*. ج.2. رقم الحديث 2684. ص. 175. حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. ج.3 ص. 39.

62) انظر شلبي، محمد مصطفى. *أصول الفقه الإسلامي*. ص. 511 – 521. بتصرف

ثانياً: نفي الضرر أو الإضرار:

نعرّج في نهاية حديثنا، وإن كان يجدر وضعها في بداية الحديث، لقاعدة شرعية عظيمة، وهي: قول رسول ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار"(63) فهذا الحديث ذو الكلمات القليلة يُشكل قاعدة فقهية مهمة في البناء بشكل عام فهي يمكن إعمالها في كل مراحل البناء. وقد "احتلت هذه القاعدة باباً واسعاً في فقه العمارة الإسلامية، وعليها قامت أحكام لا حصر لها، وأثرت هذه القاعدة على حركة العمران في المدن الإسلامية."(64)

وهذه القاعدة "تشتمل على حكمين، الأول: أنه لا يجوز الإضرار ابتداء أي لا يجوز للإنسان أن يضر شخصا آخر في نفسه وماله؛ لأن الضرر هو ظلم والظلم ممنوع وقد حرّمه الله تعالى كما جاء في الحديث عن أبي ذر، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا"(65) وأما حكم الفقرة الثانية من هذه القاعدة هو: أنه لا يجوز مقابلة الضرر بمثله وهو الضرار كما لو أضر شخص آخر في ذاته أو ماله، لا يجوز للشخص المتضرر أن يقابل ذلك الشخص بضرر بل يجب عليه أن يراجع الحاكم [أو الجهات المعنية]، ويطلب إزالة ضرره بالصورة المشروعة.(66) وأذكرها هنا، حتى ننتبه أن لابد من استحضارها عند التفكير في بناء منشأة ما، حيث يجب أن لا تسبب ضرر لفئة من المجتمع أو لجار للمبنى، وغير ذلك من الأمور التي لا حصر لها، والتي ينبغى مراعاتها عند التفكير بإنشاء مبنى أو مشروع هندسي معين.

النتائج:

في ختام هذه الورقة البحثية أود أن أذكر أننا أنهينا نقطة واحدة في مجال البناء، وما زلنا ندرس الفكرة، وما أدينا حقها، ليجعلنا ذلك نتفكر كيف يمكن لمنهج الإسلام العظيم من خلال نصوص الوحي، ودراسة تفاسيرها،

63) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ). *سنن ابن ماجه*. كتاب الأحكام. باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. رقم الحديث. 2341. ج1. ص 737. صححه الحاكم النيسابوري بسند آخر. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: الحديث صحيح لغيره. وأنّ للحديث شواهد كثيرة يصح بها كما صححه الألباني.

64) عزب، خالد محمد مصطفى. 1418هـ/ 1997م. *تخطيط وعمارة المدن الإسلامية*. ط 1. الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ص 84.

65) مسلم، أبو الحسن بن الحجاج. *صحيح مسلم*. كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم الظلم. رقم الحديث 2577. ص. 658.

66) حيدر، علي: درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، ص 36 – 37. بتصرف

والتفكر فيها بتدبر أن يكون لنا نبراساً وسراجاً منيراً ينير دربنا ويشع نوراً لنا وللمجتمعات من حولنا، التي فقدت، للأسف، نور الله في حياتها، وبنتها على قوانين وضعية تخطيء وتصيب، فما أجلّ من التقوى حينما تكون هي منهج حياة في كل فرد من أفراد المجتمع.

وعليه فإننا نخلص إلى النتائج الآتية:

1- يتبين أن نجاح فكرة إنشاء مشروع البناء يتطلب أن تُلبّي حاجة أو تحقق منفعة محددة، مع التأكد من خلوها من أي ضرر محتمل، سواء كان فرديًا أو مجتمعيًا، أو متعلقًا بالدين أو المال أو الأخلاق.

2- أن المشاريع التي تسهم في تحقيق الألفة المجتمعية وتعزز البر والتقوى وطاعة الله تكون أكثر توافقًا مع القيم الإسلامية والمبادئ المجتمعية.

3- أهمية أن تكون النوايا في المشاريع موجهة نحو الإصلاح وتحقيق الخير، مع الابتعاد عن الشبهات أو الممارسات التي قد تؤدي إلى الإفساد.

4- دراسة فكرة البناء وفق الأحكام الفقهية الخمسة (الوجوب، الحُرمة، الندب، الكراهة، الإباحة) تُعد ضرورية لضمان توافق المشروع مع الضوابط الشرعية وتحديد مدى جواز تنفيذه.

5- أهمية التحقق من الوسائل المؤدية لتحقيق غايات المشروع، وضبطها بما يتماشى مع الشرع الحنيف لضمان تحقيق الأهداف بطرق مشروعة.

6- مراعاة الأولويات عند التخطيط للمشاريع، سواء على المستوى العام أو الخاص، يعتبر عاملًا جوهريًا، حيث تُرتب الأولويات وفق الضروريات ثم الحاجيات فالتحسينات لضمان تحقيق أكبر نفع ممكن.

7- تطبيق قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" يُعد مبدأً أساسيًا في دراسة وتنفيذ المشاريع، إذ يتطلب دراسة كافة الجوانب المحيطة بالمشروع، بما في ذلك العرف السائد، مبادئ الشرع الحنيف، القوانين المحلية، والواقع الميداني، للتأكد من تجنب أي ضرر محتمل.

التوصيات:

يوصي الباحث العاملين في مجال البناء أو العمل الهندسي عمومًا والجهات الحكومية وكليات الهندسة في الجامعات الأخذ بالتوصيات الآتية:

1. إعداد أبحاث متخصصة في كيفية تطبيق المبادئ الشرعية عند دراسة المشاريع الهندسية، مع التركيز على تحقيق المنفعة وتجنب الضرر، وتطوير إطار شرعي يُمكن اعتماده لتقييم الأفكار الهندسية وفقًا لحاجات المجتمع.
2. تصميم دليل عملي شامل يُساعد المهندسين والمخططين على تقييم المشاريع الهندسية استنادًا إلى الأحكام الفقهية الخمسة (الوجوب، الحُرمة، الندب، الكراهة، الإباحة)، لتسهيل عملية اتخاذ القرار الشرعي.
3. إجراء دراسات مقارنة بين المشاريع الهندسية الإسلامية والمشاريع التقليدية، مع تحليل الفروقات في تحقيق الألفة المجتمعية وتعزيز القيم الإسلامية.
4. البحث في أهمية ترتيب الأولويات الهندسية وفق الضروريات والحاجيات والتحسينات، مما يساهم في تلبية حاجيات المجتمع في أسرع وقت دون سرف ولا تبذير
5. تحليل شامل لتأثير قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" على تخطيط وتنفيذ المشاريع الهندسية، مع تقديم دراسات ميدانية تُبرز كيفية تطبيق هذه القاعدة في المشاريع المعاصرة.
6. تطوير إطار منهجي لدراسة الوسائل المؤدية لتحقيق الغايات الشرعية في المشاريع الهندسية، مع التأكد من توافق هذه الوسائل مع مبادئ الشريعة وضبطها لتحقيق الأهداف المشروعة.
7. إعداد أبحاث ميدانية تدرس أعراف الناس وثقافاتهم وحاجاتهم وتقديم توصيات للتوفيق بينها وبين الشريعة الإسلامية.
8. تصميم برامج تدريبية متخصصة تستهدف المهندسين، لتمكينهم من دمج القيم الإسلامية مع تصميم وتنفيذ المشاريع الهندسية.

وفقنا الله وإياكم لكل خير، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين

قائمة المراجع:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المراجع

1. الألباني، محمد ناصر الدين. (ت 1420 ه). 1408ه/1988م .**صحيح الجامع الصغير وزياداته** .ط3. بيروت: المكتب الإسلامي.
2. الألباني، محمد ناصر الدين. (ت 1420 ه). 1415ه/1995م .**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** .ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
3. الألباني، محمد ناصر الدين. (ت 1420 ه). 1418 ه/1997م .**صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري** . ط4. الجبيل الصناعية، المملكة العربية السعودية: دار الصديق للنشر والتوزيع.
4. الأنيس، عبد السميع محمد. 1434ه/2013م .**جوانب حضارية في السنة النبوية المطهرة** .دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.
5. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. (ت 273ه) .**سنن ابن ماجه** .تحقيق شهاب الدين بن أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت 840ه). د.ط. بيروت: دار الفكر.
6. ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد (ت 804ه). 1429ه / 2008م **التوضيح لشرح الجامع الصحيح** . تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث.ط1. دمشق: دار النوادر.
7. البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256 ه). 1424ه/2004م .**الأدب المفرد** .تحقيق: محمد إلياس باره بنكوي. ط1. الشارقة: المركز العربي للكتاب.
8. البخاري، محمد بن إسماعيل. (ت 256 ه). 1429ه/2008م .**صحيح البخاري** .تخريج صدقي جميل العطار. ط1. بيروت: دار الفكر.
9. البسام، عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح. (ت 1423ه). 1423ه/2003م .**توضيح الأحكام من بلوغ المرام** .ط5. مكة المكرمة: مكتبة الأسدي.
10. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة. (ت 279ه). 1425ه/2005م .**سنن الترمذي** .تخريج صدقي جميل العطار. د.ط. بيروت: دار الفكر.
11. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه. (ت 405 ه). 1411ه/1990م .**المستدرك على الصحيحين** .تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

12. حيدر، علي. (ت 1353 هـ). 1411هـ/1991م .**درر الحكام في شرح مجلة الأحكام** .تعريب فهمي الحسيني. ط1. بيروت: دار الجيل.

13. الديوبندي، محمد أنور شاه بن معظم شاه (ت 1353 هـ). 1426 هـ / 2005م .**فيض الباري على صحيح البخاري** .تحقيق محمد بدر عالم الميرتهي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

14. الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. (ت 666هـ). 1420هـ/1999م .**مختار الصحاح** . تحقيق يوسف الشيخ محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية.

15. الزحيلي، وهبة بن مصطفى (ت 1436 هـ). 1418هـ / 1997م .**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** .ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر.

16. شلبي، محمد مصطفى. 1406هـ/1986م .**أصول الفقه الإسلامي** .د.ط. بيروت: دار النهضة العربية.

17. عزب، خالد محمد مصطفى. 1418هـ/1997م .**تخطيط وعمارة المدن الإسلامية** .ط1. الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

18. عمر، أحمد مختار عبد الحميد. (ت 1424 هـ) وآخرون. 1429هـ/2008م .**معجم اللغة العربية المعاصرة** .ط1. القاهرة: عالم الكتب.

19. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (ت 817هـ). 1426هـ/2005م .**القاموس المحيط** .تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

20. المراغي، أحمد بن مصطفى. (ت 1371 هـ). 1365هـ/1946م .**تفسير المراغي** .ط1. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

21. مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر. (1393هـ / 1414هـ - 1973م / 1993م) .**التفسير الوسيط للقرآن الكريم** .ط. 1. القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

22. مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج النيسابوري. (ت 261 هـ). 1422هـ/2001م .**صحيح مسلم** .د.ط. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

23. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. (ت 676هـ). 1392هـ .**المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** .ط2. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

فهرست

الملخص:.....4

Abstract: 4

تقديم: 5

مشكلة الدراسة: 6

أهمية البحث: 6

أهداف البحث:.....6

الدراسات السابقة: 7

الهدي النبوي في البناء وعمارة الأرض ().....7

الأحاديث النبوية الواردة في البناء والعمارة: جمع وتخريج وتحليل () 7

المسؤولية الشرعية والقانونية عن الأعمال الهندسية المدنية......8

نظم الأبنية الهندسية دراسة تأصيلية في ضوء القرآن الكريم والسُنّة النبوية() 8

علوم الهندسة المعمارية في القرآن والسنة.....8

العمارة الإسلامية (أصولها الفكرية ودلالاتها الثقافية والبيئية) 8

منهجية البحث: 9

خطة البحث:.....9

المبحث الأول: البناء الهندسي في القرآن والسُنة 10

تمهيد: البناء الهندسي لغة ومفهوماً:.....10

المطلب الأول: البناء في القرآن الكريم: 11

المطلب الثاني: البناء في الأحاديث النبوية: 13

المبحث الثاني: فكرة البناء الهندسي.....18

تمهيد:.....18

المطلب الأول: ضوابط شرعية وأسس أخلاقية في مشاريع البناء الهندسي.....18

أولاً: نية خالصة وامتثال للأحكام الشرعية:.....18

ثانياً: بناء يحقق الصلاح والنفع للمجتمع:.....19

المطلب الثاني: فقه الأولويات ونفي الضرر في دراسة جدوى المشاريع الهندسية 20

أولاً: دراسة جدوى المشروع وأولوياته: 20

ثانياً: نفي الضرر أو الإضرار: 22

النتائج: 22

التوصيات: 24

قائمة المراجع: 25

جامعة ستاردوم

مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإسلامية والشرعية

— مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإسلامية و الشرعية —

تصدر بشكل ربع سنوي عن جامعة ستاردوم

العدد الاول - المجلد الثالث 2025م

رقم الإيداع الدولي : ISSN 2980-3810